انافورا ادي وماري، والريازة الكنسية الكلدانية

مقدمة عامة.

تعكس الليتورجيا إيمان الكنيسة وتقليدها وتعليمها، وتساعد على ترسيخ هويتها وشخصيتها. تستعمل الكنيسة الكلدانية الكلمة الكدانية (**ܦܘܟܕܢܐ ܛܟܣܐ**)، أي "النظام"، وكذلك (**ܫܡܫܬܐ ܬܫܡܝܫܬܐ**)، أي "الخدمة"، في إشارة إلى هذه المسيرة التي تُعمِّق حياة المسيحي في الصلاة، بحيث تصبح الصلاة ينبوع حياة في داخله، فتغدو حياته كلها ليتورجيا دائمة.

تُعدّ الليتورجيا الكلدانية من أقدم ليتورجيات الكنيسة. وهي بسيطة وواضحة، وهي ليتورجيا الشعب. وقد تأثّرت كثيراً بالليتورجيا اليهودية في أورشليم. وبشكل أدقّ، هي ليتورجيا يهودية – مسيحية، وتحتفظ بإحدى أقدم الأنافورات (الصلاة الليتورجية)، وهي أنافورا أدي وماري (القرن الثالث). كما أن بنية وريازة الكنيسة الكلدانية تشبه هيكل أورشليم: البيما، الحجاب، وروح احترام السرّ.

من أجل تعميق روح الصلاة ومكانتها في حياة المؤمنين، وجعل الليتورجيا مصدر رجاء وفرح، قُسِّمت السنة الليتورجية الكلدانية إلى مراحل تعكس حياة يسوع وحياة الكنيسة: البشارة (المجيء)، الميلاد، الدنح، الصوم الكبير، القيامة، العنصرة، زمن الكنيسة–الرسالة. أما مواسم الصيف، وإيليا، والصليب، وموسى فهي مواسم توبة، وتختتم السنة بتقديس الكنيسة. ويضمّ كل موسم سبعة آحاد، وتتخلّلها تذكارات القديسين.

الهدف هو مساعدة المؤمنين على التوجّه نحو الأبدية. ويؤمن الكلدان أنّهم إذا تبعوا المسيح والقديسين، يمكنهم أن يرجوا بلوغ المصير نفسه الذي بلغه يسوع. وتملك الكنيسة الكلدانية ثلاث صلوات افخارستية، او انافورات: ادي وماري، الثانية (المنسوبة لتيودورس المصيصي +٤٢٨)، والثالثة (المنسوبة لنسطوريوس +٤٥٠).

سوف نتناول في هذا الكورس انافورا ادي وماري، وارتباط ذلك بالريازة الكنسية الكلدانية الاصلية.

القسم الأول: الانافورا؟

كلمة أنافورا (ἀναφορά) تعني حرفيا: **الرفع – التقدمة – الصعود.** وتشير الى الجزء الخاص في القداس بتقديس الخبز والخمر الى جسد ودم الرب يسوع. انها الجزء الأساس من الذبيحة الإلهية. وهذه الكلمة يطلقها البيزنطيون وكذلك كل التقاليد المشرقية الانطاكية (ما تسمى اليوم سريانية!). وفي تقليدنا يتم اطلاق كلمة "ܩܘܕܫܐ قوداشا" أيضا على هذا الجزء، بحيث تسمية الجزء تتوسع للكل الذي نسميه اليوم "القداس: **ܩܘܕܫܐ**".

هناك بعض الاختلاف في مفهوم الانافورا بين اللاهوت الغربي والشرقي. في الغرب، التركيز غالباً يكون على: لحظة التقديس والكلمات الفاعلة، بحيث السؤال الأساسي يكون: متى بالضبط يحصل التحوّل؟

في اللاهوت المشرقي عموما، وخاصة لاهوت كنيستنا: الأنافورا ليست لحظة واحدة، بل **مسيرة كاملة.**

انها ليست فقط السؤال: متى يتحوّل الخبز والخمر؟، بل السؤال الأعمق: كيف تدخل الكنيسة كلّها في سرّ الخلاص؟

الطقس المشرقي لا يفصل: الشكر، والخلق، والخلاص، والروح القدس والكنيسة، لان كلّها تتحرّك معًا داخل الأنافورا. في الشرق، التركيز هو: على **الروح القدس والآب والمسيرة.** ولهذا لاهوتنا المشرقي يركّز على ان: "الكنيسة دخلت في فعل الروح، والآب قَبِل التقدمة، والابن حاضر في السرّ".

اذن الأنافورا ليست فقرة من القداس، بل هي قلب القداس، واللحظة التي فيها تدخل الكنيسة كلّها في فعل الخلاص.

هيكلية وترتيب الانافورا يختلف من تقليد لآخر، وكنيسة لأخرى، بحسب الرؤية الايمانية واللاهوتية التي تركّز عليها تلك الكنيسة او ذلك التقليد.

الانافورا اذن تُشكّل جوهر القداس، الا ان هناك أجزاء اخرى أيضا لما نطلق عليه اليوم القداس. وسوف نتناول أولا القداس الكلداني كهيكلية وترتيب ولاهوت، كي نركّز بعدها على انافورا ادي وماري الكلدانية، كي نستطيع ان نفتهم ريازة الكنيسة الكلدانية الاصلية.

القسم الثاني: هيكلية القداس الكلداني:

في كلامنا عن القداس الكلداني يلزم ان نرى كل جوانبه وليس فقط جانب واحد. اي ان هناك حاجة للنظر اليه من مختلف الاوجه وليس التوقف عند وجه واحد. لذا من الضروري ان نتعرف ونفهم كيف بُني هذا القداس وعلى اية أسس. حينها نستطيع ان نرى ونفتهم جيدا قداسنا.
سنحاول اولا ان نعطي فكرة موجزة عن معنى القداس، الافخارستيا كلاهوت بشكل عام، وبعدها ندخل في المعنى اللاهوتي الخاص لقداسنا لنتعرف بالاخير على هيكليته، من اجل تذوقه بشكل عميق.

أ. الافخارستيا كـــ "سرّ".

معنى "السرّ" في القداس الالهي هو جوهري واساسي. السرّ يعني حقيقة مقدّسة. فعندما نقول "سرّ" نقصد بذلك التعبير عن حقيقة مقدّسة وتحقيقها، اي جعل هذه الحقيقة واقعة حادثة في الزمن والتاريخ.

الافخارستيا هي "سرّ" من اسرار الكنيسة السبعة، وهي استذكار للعشاء الفصحي الاخير الذي عمله الرب يسوع مع تلاميذه، وفيه اعطى للمؤمنين به جسده ودمه تحت شكل الخبز الخمر. وعندما يحتفل المؤمنون بالافخارستيا فانهم يعيدون ذلك العشاء الاخير، فينوجد المسيح بينهم تحت شكلي الخبز والخمر.

الافخارستيا اذن هي سرّ لان المسيح بها يحضر بحقيقته الكاملة. لهذا ليست "استذكار :recollection" فقط بل "ذكرى: Memory"، بمعنى تحقيق هذا الاستذكار. عندما نقول ذكرى، فاننا نقصد عادة بعض الاحداث التي نعرفها وموجودة في مخزن عقلنا، نستطيع ان نخرجها متى شئنا. لكن ما نقصده هنا بالذكرى ليس الفعل العقلي في احضار حدث، بل الحدث الماضي لكن الحيّ الآن، المعاش في الحاضر وبقوة.

الذكرى المقصودة هي ان تكون حقيقة معينة حيّة في الشخص بحيث يجعلها واقع انساني ويدخلها في تاريخه الحالي. ومن جهة أخرى هذا الشخص يصبح حيّا من خلالها. اذن هناك الحقيقة التي تتحقق في الشخص، وهناك الشخص الذي يحيا بواسطة الحقيقة.

لهذا في سرّ الافخارستيا وعندما يتناول المؤمنون هذا الجسد والدم فانهم يجعلون المسيح حيّا فيهم ويعلنون بفعلهم هذا ان عمل المسيح الخلاصي لا زال فعّالا، ويجعلوه فعّالا بتناولهم هذا الجسد والدم، لانهم به يصبحون جماعة واحدة، جسد واحد هو جسد يسوع المسيح الذي بدأ عمل الخلاص، وجسده الحالي "الكنيسة" تُكمل عمله في العالم (روم 12: 1-9).

المسيح ابن الله القدوس يعطي جسده في الافخارستيا، لهذا من يأخذه ويتناوله يصبح مقدّسا لان المسيح يُقدّسه. ولهذا الافخارستيا هي سرّ حقيقي لانها تقدّس مَن يشترك بها بجعله مملوءً من المسيح، اي بجعله "مسكن" [ܡܫܟܢܐ مشكنا] المسيح، وبواسطته يعمل في العالم اليوم، الآن.

ب. القداس الكلداني.

هناك عدة أسس يتأسس عليها القداس الكلداني:

1. الأساس اللاهوتي: ما نتكلم عنه هو قلب القداس او كما قلنا اعلاه (التقديس: قوداشا، او الانافورا)، والتي تبدأ من بعد قانون الايمان "نؤمن"، بالتحديد مع (نعمة ربنا يسوع المسيح...)، الى (نعمة ربنا يسوع المسيح...) قبل (كلنا بالخوف والوقار...).
2. الهيكلية التنظيمية: البداية والمسيرة والنهاية. (سنتكلم عنها في نقطة الريازة الكنسية).

<u>اللاهوت</u>.

في القداس الكلداني هناك نقطتان جوهريتان فيما يخص اللاهوت: الأساس اللاهوتي والمخطط اللاهوتي.

1. الأساس اللاهوتي.

الاساس اللاهوتي لقداسنا مبني على لاهوت مار بولس، وخاصة حين يقول اننا كلنا في مسيرة نحو لقاء الرب وان حياتنا الحالية هي عربون (ܐܪܒܘܢܐ) الحياة القادمة (جعل في قلوبنا عربون الروح) 2 كور 1: 22، وان المسيح هو (عربون ميراثنا) افسس 1: 14.

في فكر مار بولس تأتي كلمة ἀρραβών "العربون" مثل: دفعة أولى، وضمان حقيقي، وجزء من الشيء الآتي، وليس مجرّد وعد. أي أن العربون ليس رمزاً خارجياً، بل **بداية واقعية لما سيكتمل لاحقًا**.

ولهذا مار بولس يقول بوضوح ان الله أعطانا **الروح القدس عربونًا**. ويعني بذلك ان الخلاص بدأ، لكنه لم يكتمل بعد، وان الحياة الأبدية حاضرة، لكنها في طور النمو، كذلك المؤمن يعيش بين: "ما قد أُعطي"، و "سيُكمَل".

العربون اذن هو حضور حقيقي للآتي في الحاضر. الروح القدس ليس مجرّد عزاء نفسي، بل **الواقع المستقبلي نفسه وقد دخل الزمن**.

في الفكر المشرقي الكلداني، الخلاص لا يُفهم قانونياً، بل "**تذوّقياً**". وعليه فان العربون هو: أن يذوق الإنسان الآن ما سيعيشه كاملاً لاحقاً. من اجل ذلك نجد في طقسنا لغة: "ذوق"، "نور"، "حياة"، "شَرِكة"، وليس لغة "الضمان القانوني" المتبعة عادة في الفكر الغربي.

كلمة (**ܐܪܒܘܢܐ**: عربون) مهمة وأساسية جدا: انها لا تعني ان الحياة الحالية لا تسوى وليست بذات قيمة بل ان هذه الحياة هي تذوق أولي للثمر التام. فيما نقوم به ونعيشه نحن نتذوق في طرف لساننا وفمنا ما سنكون عليه في الحياة القادمة.

اذن كل شيء له هدف وهو الحياة القادمة: نحن في توجّه نحو هذه الحياة، وما نحققه ونعمله هنا هو تحقيق أولي لما سنعيشه أبدا. بهذا المعنى ما نقوم به هنا ونعيشه هو بالحقيقة **تذوق وإظهار**. تذوق ما موجود في الحياة التامة مع المسيح، واظهار لهذه الحياة في عالمنا اليوم، في اللحظة الآنية.

من هنا تأتي أهمية ان نرى ان القداس ليس طقوسا غير معروفة المعاني، ولا هو اجتماع اسبوعي ملزمين بحضوره كواجب. نحن في القداس نعيش ونحقق ونُظهِر. هناك هدف في القداس وهو ان نتذوق المسيح، ونحققه كشخص حيّ بيننا، ونُظهره للعالم في حياتنا. لذا نحن **متجهين** من خلال القداس نحو هذا الهدف وهو الحياة في المسيح.

(نص الصلاة الثانية قبل البركة الختامية:

ܡܥܒܕܝܢ ܒܟܘܢ ܡܫܝܚܐ ܡܠܟܐ ܡܦܪܩܢ ܡܚܝܢ ܡܬܩܒܠܝܢ ܩܘܪܒܢܟ. ܘܒܗܠܝܢ ܡܫܬܘܬܐ ܐܝܟ ܕܐܢ ܐܦ ܐܢܚܢܐ ܒܟ ܚܛܝܢ ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܒܫܡܐ ܩܕܝܫܐ ܕܐܬܩܪܒ ܠܟ. ܐܝ ܒܝܕ ܒܟ ܕܝܥܒܕ ܠܗ ܚܝܠܟ ܡܫܬܟܚ ܡܫܬܟܚ ܡܫܬܒܚ. ܠܡܫܬܐ ܩܕܡ ܟܠ ܡܕ ܐܪܒܘܢܐ ܕܢܬܗ ܩܕܫܟ ܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ ܕܝܠܢ. ܕܢܗܘܐ ܠܢ ܠܚܝܐ ܕܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ. ܐܡܝܢ.

(ليمنحنا المسيح إلهنا وربنا وملكنـــــــــــا ومخلصنا ومحيينا وغافر خطايانا الذي أهّلنا بنعمته ورحمته لتناول جسده ودمه الكريم مقدس الكل أن نرضيه بأقوالنا واعمالنا وافكارنا وأفعالنا، وليكن يا رب هذا العربون الذي تناولناه ونتناوله غفراناً للذنوب وصفحـــــــــــاً عن الخطايا ورجاءً عظيماً للقيامة من بين الاموات، وحياة جديدة في ملكوت السمـــاوات، مـــع جميع الذيـــن أرضـــوك بنعمتـــــك ورحمتـــــك إلى الأبـــــد، آميـــــــــــن)

من ناحية أخرى، المسيح او "الحياة فيه" هي ايضا قادمة نحونا: إذن نحن نتجه نحوها وهي في مجيء نحونا. لهذا حين نتّجه نحو المسيح نكتشف انه في مجيء نحونا. هو يأتي الينا قبلا حين نبدأ نتوجه نحوه.

لذا التوجّه (البعض يسميها القُبلة...في بعض الاديان مهمة جدا لكل الصلوات...) هو أساسي في لاهوت القداس.

أين يكون التوجه؟ نحو المسيح الذي هو النور. ومن أين يأتي النور؟ يخرج ويبزغ ويأتي من الشرق.

لذا كنائسنا بصلواتها وطقسها مبنية على أساس التوجّه نحو الشرق. أي ان اتجاه الكنيسة هو نحو الشرق، والمذبح يجب ان يكون ناحية الشرق، بحيث الكل، اعتبارا من المحتفل، والمشاركين والمؤمنين هم متّجهين نحو الشرق، حيث يأتي المسيح.

هنا يمكن ان يبرز التساؤل المطروح بكثرة حاليا: نحن ممكن ان نصلي ووجهنا الى اي مكان لان الله في كل مكان. كقاعدة هذا الطرح صحيح، أي ان الله في كل مكان. الا ان الصلاة، او بالأحرى، القداس ليس هو فقط صلاة جماعية، بل انه حياة الجماعة مع ربها. انها تعيش لحظات "ذكرى" العشاء معه. لهذا فهي معمولة بشكل معين وبثقافة وحضارة معينة.

اي ان هذا العشاء مع الرب يتم عمله حسب حضارة الجماعة وتفكيرها ولاهوتها الذي ينبع من مسيرتها في التاريخ. لهذا حينما آبائنا عملوا وبنوا القداس على هذا الاساس اللاهوتي فانهم استندوا على الكتاب المقدس لكن موضوعا في حضارتهم وثقافتهم التي تُظهِر شخصيتهم التاريخية والاجتماعية والفكرية وكذلك الهندسية.

النور له مكانة كبيرة في الحضارات القديمة لأنه تعبير عن الحياة: انه الحياة كونه يجعل الانسان حيويا وقادرا على العمل، بينما الظلام يحدده ويجعله غير فعّال.

لذا مصدر النور الذي هو الشرق يرمز الى مصدر الحياة الذي هو المسيح. وشروق النور هو بالحقيقة اظهار لحقيقة الرب. من اجل ذلك التوجّه في القداس يكون نحو الشرق لان منه ينبع النور، اي تنبع الحياة، المسيح.

2. المخطط اللاهوتي:

على الأساس اللاهوتي المتجه نحو الشرق، والمستند على لاهوت "العربون" البولسي، بنيّ مخطط القداس، لكن بأية طريقة او اي نموذج؟

انه نموذج قصة تلميذي عاموس في إنجيل لوقا 24:

المسيرة – كلام الله – كسر الخبز – التبشير.

- زياح الدخول (فتح الستار بـــ "ܟܘܪܝ ܡܢܢ" اياك يا رب الكل) التي تدل على دمج العالمين، السماوي والارضي بواسطة المسيح). "بدأ يسير معهما الا ان اعينهما حُجبت عن معرفته" لو 24: 15. اذن كيف سيعرفانه؟ من خلال اولا تفسير الكلام، تفسير كلمة الله.
- رتبة الكلمة: "فبدأ من موسى وجميع الانبياء يفسّر لهما في جميع الكتب ما يختصّ به" 24: 27
- التقديس: "فدخل ليمكث معهما. ولما جلس معهما للطعام، اخذ الخبز وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت اعينهما وعرفاه" 30:24.
- المناولة والانطلاق: "وقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم.... فرويا ما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز". .33:24

هنا ممكن ان نرى ارتباط مفهوم الانطلاق وزمن البشارة كبداية السنة الطقسية الكلدانية. البشارة بداية زمن الخلاص من خلال التبشير بولادة يوحنا المعمدان والرب يسوع وولادة الرب، وانطلاق المؤمن بعد مناولته للرب للتبشير في العالم. التبشير او البشارة اساسية ومهمة جدا في ايماننا المسيحي بشكل عام وفي كنيستنا بشكل خاص. ليس هناك مسيحية بدون بشارة وتبشير. حينما نقول بشارة، نقصد ان نستقبل البشرى، والتبشير يعني ان نعلن البشرى.
وهذا نجده كله في طقس قداسنا الكلداني. لذا من الضرورة ان نعرف هذا الاساس اللاهوتي كي نعرف كل الجوانب الاخرى في القداس.

القسم الثالث: انافورا ادي وماري:

أ. الانافورا في المفهوم المشرقي الكلداني.

في الطقس الكلداني، **الأنافورا ليست فقرة من القداس**، بل هي **قلب القداس**، واللحظة التي فيها تدخل الكنيسة كلّها في فعل الخلاص. الكنيسة الكلدانية، المتجذّرة في التقليد الشرقي، تفهم الأنافورا لا كـــ "كلمات تقديس"، بل كـــ **صعود الكنيسة إلى الآب مع المسيح وبالروح القدس**.

في اللغة والروح الكلدانية، الأنافورا هي فعل **تقدمة** قبل أن تكون فعل أخذ. قبل أن يُعطى الجسد والدم: تُقدَّم الخليقة، ويُقدَّم التاريخ، ويُقدَّم الألم والرجاء، وتُقدَّم الكنيسة نفسها.

لذلك، الطقس الكلداني يضع الأنافورا بعد:

- إعلان الكلمة
- الاعتراف بالإيمان
- المصالحة والسلام

كأن الكنيسة تقول: لا يمكننا أن نرفع التقدمة ما لم نكن في شركة ومصالحة.

ب. أصالتها، أهميتها، خصوصيتها.

أنافورا الرسل «أدّي وماري» هي أقدم صلاة إفخارستية باقية في الاستعمال المستمر داخل التقليد السرياني الشرقي. تحمل هذه الأنافورا لغةً ساميّة وأسلوبًا كتابيًّا يذكّرنا بصلوات العهد القديم، وتتميّز بمركزية الاستدعاء إلى الروح القدس، فيما تخلو في أقدم صيغها من سردٍ صريحٍ لكلمات العشاء الأخير كما نعرفها اليوم. وقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية رسميًا سنة 2001 بصحّة هذه الأنافورا حتى في غياب هذا السرد المتّصل، معتبرة أنّ كلمات الرب حاضرة حضوراً افخارستيًا موزَّعًا في صلوات الشكر والتسبيح والتذكارات.

أولًا: تاريخيّة الأنافورا

تعود أنافورا الرسل «أدّي وماري» إلى أقدم الطبقات الليتورجية في الكنيسة، ويُجمِع الدارسون أنّ موطنها الأصلي كان في بلاد الرافدين، أي في بيئة مسيحية ساميّة متجذّرة في اللغة الكلدانية والثقافة اليهودية، المسيحية المبكرة. ويرجَّح أنّها نشأت في محيط الرها أو في مراكز مسيحية قريبة، حيث امتزجت التقاليد الرسولية الأولى مع الحسّ السامي في الصلاة. تاريخ التأليف الأوّل يُؤرَّخ عادة إلى القرن الثالث الميلادي، وربما قبل ذلك بقليل، ما يجعلها إحدى أقدم الأنافورات التي استُعملت بشكل مستمر عبر العصور.

أقدم الشواهد المخطوطة.

أقدم نصّ كامل وصل إلينا هو ما حفظته مخطوطة مار إشعيا في الموصل (القرن العاشر/الحادي عشر). هذا النصّ يُظهر بوضوح غياب «سرد التأسيس» كقصّة متّصلة، أي أنّ كلمات العشاء الأخير («هذا هو جسدي... هذه هي كأس دمي...») ليست مذكورة كاقتباس متسلسل. ومع ذلك، بقيت البنية الجوهرية للصلاة

حاضرة: تمجيد الله الآب، تذكارات الخلاص، واستدعاء الروح القدس على القرابين والجماعة. ما يعني أنّ البنية الأساسية ظلّت سليمة وفعّالة، حتى مع اختلاف الشكل الأدبي للسرد.

ثانيًا: بنية الأنافورا كما تعكسها الشواهد

تكشف النصوص الكلدانية التي وصلتنا أنّ أنافورا الرسل «أدّي وماري» ليست مجرد سلسلة من الصلوات، بل رحلة روحية متدرجة تأخذ الجماعة من الحياة اليومية إلى حضرة الله، ثم تعود بهم ليحملوا نعمته إلى العالم. هذه الحركة المتصاعدة لها ملامح واضحة في المخطوطات القديمة، ويمكن تقسيمها إلى محطات أساسية متكاملة:

1. رفع القلوب.

البداية تأتي بنداء الشمّاس والكاهن للشعب: «ارفعوا عقولكم» (**ܗܘܒ ܗܘܟ... ܗܘܟܝܟ ܗܘܗ ܟܗܘ..**) (**ܟܠ ܗܘ ܗܘܟ ܗܘܟܝܟ**). هذه العبارة البسيطة تفتح الباب للدخول في أفق جديد، حيث تترك الجماعة وراءها همومها الأرضية، لتتوجّه كلّها نحو العلى. إنّه إعلان أنّ الليتورجيا ليست مجرد كلمات، بل فعل جماعي للارتقاء الروحي والدخول في حضرة الله الآب.

2. صلاة الشكر والتمجيد.

بعد رفع القلوب، تتفجّر الصلاة في شكر شامل لله: للخالق الذي أعطى الوجود، وللمخلّص الذي افتدى البشرية. هذه اللحظة هي قلب «الإفخارستيا» بالمعنى الحرفي (شكر). هنا لا نتأمل فقط في حدث واحد، بل في تاريخ الخلق والخلاص منذ البداية وحتى كماله في المسيح. الكنيسة تعلن أنّها تعيش بذاكرة شاكرة لا تنسى عطايا الله.

3. نشيد "قدوس، قدوس، قدوس".

الانتقال إلى الـــ «قدوس» يعني الدخول في شركة الملائكة .الشعب لا يصلّي وحده، بل يتّحد بجوقات السماء التي تهتف بلا انقطاع أمام العرش. بهذا يصبح الاحتفال الأرضي صورةً مسبقة للعبادة السماوية، حيث يلتقي الزمن بالأبدية، والأرض بالسماء.

4. التذكارات.

تأتي بعد ذلك التذكارات، أي ذكر الآباء والأنبياء والرسل والشهداء، وكل الذين عاشوا أمانة الإيمان. هنا تعي الكنيسة أنّها امتداد لمسيرة تاريخ الخلاص، وأنّها ليست جماعة منعزلة، بل جزء من موكب طويل من المؤمنين الذين سبقوها. التذكارات تجعل الحاضر مرتبطًا بالماضي ومفتوحًا على المستقبل.

5. الاستدعاء (Epiclesis).

تصل الصلاة إلى ذروتها في استدعاء الروح القدس: "ليأتي روحك القدوس، وليحلّ على هذا القربان، وليباركه ويقدّسه". في هذا المقطع، تفهم الكنيسة أنّ التحوّل لا يتمّ بكلمات بشرية فقط، بل بعمل الروح الذي يجعل الخبز والخمر جسد المسيح ودمه، ويحوّل الجماعة أيضًا إلى جسد المسيح الحي. هنا يُلتقط معنى الإفخارستيا العميق: سرّ الروح الذي يعمل في المادة وفي الجماعة.

6. الختام التسبيحي.

وأخيرًا، تُختَتم الأنافورا بتسبيح وشكر لله الذي افتدى شعبه بدم المسيح (**ܚܕ ܡܗܝܡܢ ܐܢܬܘܢ ܐܠܗܐ ܕܦܪܩܢ ܥܡܗ ܒܕܡܐ ܕܒܪܗ ...**). هذه النهاية ليست مجرد خاتمة شكلية، بل إعلان فرح الكنيسة التي نالت الخلاص، واعتراف بأن كل ما جرى في الصلاة هو نعمة من الله وحده.

اذن بنية الأنافورا ليست مجرد ترتيب منطقي، بل منطق روحي عميق: تبدأ بدعوة القلوب إلى العلى، ثم تدخل في تأمل أعمال الله، فتشارك الملائكة تسبيحهم، وتذكر تاريخ الخلاص، وأخيرًا تستدعي الروح القدس ليحوّل القرابين والجماعة. هذه الحركة تجعل الكنيسة تعيش في كل قداس مسيرة الفصح: من الارتفاع إلى التمجيد، ومن التذكّر إلى الاستدعاء، ومن الشكر إلى الاتحاد بجسد المسيح.

ثالثا: مسألة سرد التأسيس.

من أكثر النقاط إثارة للنقاش في تاريخ هذه الأنافورا هو مسألة سرد التأسيس.

- بعض الدارسين اعتبروا أنّ السرد كان موجودًا في الأصل ثم حُذف لاحقًا في بعض التقاليد.
- آخرون رأوا أنّ غيابه هو علامة بدائية أصيلة، وأن النص لم يعرف أصلاً سردًا متّصلًا كما في الأنافورات الأخرى.

الكنيسة اليوم لا ترى في هذا الغياب نقصاً، بل تعتبر أنّ كلمات التأسيس حاضرة إفخارستياً بشكل موزّع داخل جسد الأنافورا، في التذكارات والصلوات الاستدعائية. وهذا ما يوضح أنّ جوهر الإفخارستيا لا يتوقف على جملة واحدة، بل على البنية الكاملة للصلاة.

مراحل تطوّر أنافورا «أدّي وماري» تكشف أنّها صلاة حيّة، بدأت من شفوية بسيطة، ثم تثبتت عناصرها، ثم قارنت واقتربت من صيغ أخرى، وأخيراً حملت جدلًا لاهوتياً حول سرد التأسيس. لكن في كل هذه المراحل، ظلّت تحافظ على قلبها :الشكر، الذكر، والاستدعاء، أي الأساس الذي يجعلها صلاة رسولية أصيلة وحيّة في الكنيسة حتى اليوم.

الربان جبرائيل بن ليفي القطري الذي وضع شرح قداس كنيسة المشرق (وضعه بين الاعوام 615–625)، يقول ان أساس التحول الجوهري للخبز والخمر الى جسد ودم المسيح يكمن في الكلمات التي قالها يسوع في عشائه الأخير، فيقول: (بارك الخبز وكسره، ثم بارك الخمر واعطاهم قائلا: هذا هو جسدي، هذا هو دمي، خذوا كلوا واشربوا منها كلكم، اصنعوا هذا لذكري..) "196a"[1].

ويكمل جبرائيل القطري: (هكذا الكنيسة، وامتثالا لأمر الرب، تفرز كاهناً، ليبارك ويشكر على غرار المسيح ربنا، إذ عبر تلاوته يشير لكلمات ربنا: هذا هو جسدي، الذي يكسر من اجلكم لمغفرة الخطايا) "199b".

(ينبغي على الكاهن ان يكمل هذه الخدمة المهيبة، عارفا انه يقوم مقام المسيح في تلك الساعة، حينما يبارك ويشكر) "200a". (البركة التي بارك بها ربنا الخبز والخمر ودعاهما جسده ودمه، ها انها تجري في كل الدهور، الى الابد لن تتوقف) "204a".

اذن جبرائيل القطري يقول ان التحول الجوهري في القداس يتم عبر كلمات التقديس التي يتلفظ بها الكاهن وعبر إشارات الصليب التي يرسمها على التقادم، ويكتمل التحول الجوهري عبر حلول الروح القدس على التقادم (حينما يسرد الكاهن ويبارك الخبز والخمر، بواسطة نعمة الروح القدس الذي يحل، يصبحان من الان وصاعدا جسد المسيح ودمه..) "199b".

هذا التفسير لقداس كنيسة المشرق وضعه جبرائيل القطري قبل التجديد الليتورجي الذي قام به البطريرك ايشوعياب الثالث (649 –659). وهو يذكر صراحة وجود كلمات "التقديس"، وان الكاهن المحتفل يقولها فيتبارك الخبز والخمر وعبر حلول الروح القدس يصبحان جسد ودم الرب. اذن نستنتج ان كلمات السرد كانت موجودة.

[1] المطران جاك اسحق. شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية – الاشورية. تحقيق وترجمة عربية. بغداد ٢٠١٢

مع هذا فان الدارسين يستندون على عدم وجودها في أقدم مخطوطة وصلتنا للقداس، وهي مخطوطة مار اشعيا، ليبينوا ان الانافورا الاصلية لمم تكن تحتوي على كلمات السرد.

نحن نظن ان الكلمات كانت موجودة، ومن المحتمل ان التجديد الليتورجي الذي قام به البطريرك ايشوعياب الثالث، قد حذفها، او جعلها غير مدونة في المخطوطات بسبب قدسيتها، او لأسباب أخرى مجهولة. وعدم وجودها في المخطوط المذكور ليس برهانا قاطعا على عدم وجودها في الأصل.

رابعًا: خصوصيّتها وميزاتها.

أنافورا الرسل «أدّي وماري» تحمل مجموعة من السمات التي تجعلها فريدة في عائلة الأنافورات المسيحية، وتجعلها كنزاً طقسيًا ولاهوتيًا وروحيًا لا يُقدَّر بثمن:

1. **غياب السرد المؤسِّس المتّصل.**

في حين أنّ معظم الأنافورات الشرقية والغربية تضع رواية العشاء الأخير في قلب الصلاة بشكل متسلسل ومباشر، تتميّز "أدّي وماري" بأنّها لا تورد السرد بشكل صريح متّصل في أقدم شواهدها. هذا الغياب لا يُفهم كـــ «نقص»، بل كعلامة على بدائية أصيلة؛ إذ يكشف أنّ الصلاة الأولى كانت ترى سرّ الإفخارستيا كتجربة شكر واستدعاء شامل، لا كلحظة لفظية واحدة. هذا ما يمنحها قيمة تاريخية ولاهوتية خاصة، ويُبرز أنّ جوهر الإفخارستيا هو فعل الجماعة كلّها في الروح، لا مجرّد جملة معزولة.

2. **توجّهها إلى الآب.**

النصوص الكلدانية تُظهر بوضوح أنّ المخاطَب الأساسي في الأنافورا هو الله الآب. جميع التضرّعات تتوجّه إليه باعتباره مصدر كل عطية وصانع الخلاص. في الوقت نفسه، يظهر ذكر الابن الذي أُرسل ليخلّص البشر، وحلول الروح القدس الذي يقدّس القربان والجماعة. هذا التوجّه الابوي – مع حضور الابن والروح – يضع الأنافورا في إطار ثالوثي متوازن، حيث ينكشف التدبير الإلهي في وحدته الكاملة.

النصوص توضح أنّ المخاطَب الرئيس هو الله الآب: هو الذي يُقدَّم له القربان، وهو الذي يُطلَب منه إرسال الروح القدس ليقدّس القرابين والشعب. ومع ذلك، فالابن حاضر دوماً في النص: يُذكر باعتباره المُرسل من الآب لفداء العالم، وباعتباره الكلمة الذي علّم وبشّر. أما الروح القدس، فهو المُستدعى ليحوّل ويقدّس. بهذا يكون النص ثالوثيًا في بنائه، لكنه يحافظ على الوجهة الابويّة كأساس، على غرار معظم الأنافورات الشرقية.

3. مركزيّة الاستدعاء (Epiclesis).

الاستدعاء "ليأتِ روحك القدوس وليحلّ على هذا القربان" هو القلب الحي للأنافورا. في هذا الموضع، تدرك الكنيسة أنّ التحوّل الإفخارستي لا يتمّ بكلمات الإنسان، بل بعمل الروح. هنا يلتقي السرّ الإلهي مع جماعة المؤمنين: الروح القدس يقدّس القرابين، ويحوّل الجماعة لتكون جسد المسيح. هذه الرؤية تجعل من «أدّي وماري» مدرسة لاهوتية حيّة عن دور الروح في حياة الكنيسة.

4. اللغة الساميّة.

تستعمل الأنافورا لغة كلدانية ساميّة عميقة الجذور، تعبّر عن الامتداد التاريخي بين العهد القديم والعهد الجديد. الاستجابة "إليك يا إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل" تُعيدنا مباشرةً إلى بركات الآباء وصلوات البركة (الـــ"بركوت" اليهودية). هكذا ترتبط الإفخارستيا بتاريخ الخلاص الممتد، وتُظهر أنّ المسيح لم يأتِ ليقطع مع الماضي، بل ليُتمّ العهد ويُدخِل الكنيسة في عمق القصة الخلاصية الواحدة.

القسم الرابع: هيكلية الانافورا.

بالنسبة لهيكلية انافورا ادي وماري فانها مبنية على ما فعله الرب يسوع في العشاء الأخير:

- اخذ خبزاً = التقدمة.
- وبارك (قال صلاة البركة) = رتبة التقديس
- وكسر = رتبة الكسر
- وأعطى تلاميذه = التناول.

(راجع متى ١٦: ١٧-٢٩، مرقس ١٤: ١٢-٢٦، ١ كور ١١: ٢٣-٢٧).

اذن هناك أربعة اقسام رئيسة للانافورا في القداس الكلداني، وكل قسم فيه عدة عناصر وكما يأتي:

- التقدمة:

يحتوي قسم التقدمة على غسل أيدي مقدّم الذبيحة استعداد لنقل القرابين، وبعدها يتم نقل القرابين، ترافقها ترتيلة الاسرار. علما ان هذه الترتيلة تتغير بحسب المواسم وفي كلّ قداس، فهي تعرض سرّ القربان المقدّس في اوجهه المختلفة، وتحثّ المؤمنين على التأمل والاستعداد لتناوله بنقاء الضمير.

بعد نقل القرابين، هناك التحية والسجود للكاهن إشارة الى دوره المقدّس. وكان هناك قبلا تطواف من البيم الى قدس الاقداس، ومن ثمّ ال "نؤمن"، وبعدها ال "طلبات: نصلي شلاما عمن.."، وحينها يتم الانتقال من قدس الاقداس الى المذبح.

- التقديس:

تبدأ رتبة التقديس بصيغة التحية البولسية (نعمة ربنا يسوع المسيح...) ٢ كور ١٣: ١٣. ومن ثمّ نوع من حوار بين المحتفل والمؤمنين. ثم هناك "تضرع" وصلاة "الانحناءة الثانية" التي يتلوها الكاهن بعد ان يقبل المذبح ويسجد ويبسط يديه بانتظام الى نهايتها.

بعد ذلك هناك نشيد ال "قدوس، قدوس، قدوس..". ثمّ يلي، حاليا، سرد العشاء السرّي. ومن ثمّ تضرعان وصلاة "الانحناءة"، الى ان نأتي الى طلب التقديس بالروح القدس.

- رتبة الكسر:

بعد تقديس القربان، يبقى على المؤمنين ان يتناولوه، لكن قبل ذلك توجد رتبة كسر الخبز، ورتبة الرسم والمزج. تبدأ باقتراب الكاهن من القربان بخشوع عميق. ثم يرفع القربان عاليا وهو يتلو صلوات بشكل سرّي. بعدها يكسر الخبز المقدس، والذي يشير الى آلام يسوع وموته. بعدها رتبة المزج حيث يغمس طرف نصف القربانة ثلاث مرات في الكاس، ثم يعود ويرسم بالقطعة الممزوجة بدم الرب الجزء الآخر الموجود في الصينية، وهو إشارة الى وحدة الرب جسديا وروحيا ولاهوتيا.

- رتبة المناولة.

بعد رتبة الكسر والمزج، يبارك الكاهن المحتفل المؤمنين مستعملا صيغة التحية البولسية، التي بدأ بها أولا الانافورا. وهذ دليل على بداية رتبة جديدة. فالانافورا تبدأ بنفس التحية، وهو إشارة الى نهاية ما سبق، ونوع من الاحتواء لما سبق وما يأتي.

الملفان نرساي يربط هذه البركة بقيامة الرب يسوع وبالنعم التي منحتها هذه القيامة. لذا فان الكاهن يرسم علامة الصليب لا على نفسه فقط، ولكن يمد يده فوق رأسه وفوق كتفه اليمنى وكتفه اليسرى، ليراها المؤمنون ويشتركوا في هذه البركة وفي نِعم القيامة.

ثمّ هناك مناداة الشماس "كلنا بالخوف والوقار"، وهي تحثّ المؤمنين على ان يتحلوا بالصفات الضرورية التي تؤهلهم للاقتراب من المائدة المقدسة.

بعدها هناك صلاة قبل "ابانا الذي..." وأخرى بعدها. ليقول بعدها "يليق القدس بالقديسين بالوفاق"، ليجاوب الشعب "واحد هو الاب القدوس...". ويتناول المحتفل... ومن ثمّ الاكليروس والمؤمنين.

في نهاية فترة المناولة هناك ترتيلة او تسبحة "مارن ايشوع..."، لتأتي بعدها صلاتان قبل البركة الختامية التي تُطلق الشعب ليذهب ويبشر ويعيش ما سمعه وعاشه وتناوله.

خاتمة لاهوتية:

ان الدعاء (لتكن افكاركم في العلى) في الروحانية الكلدانية التي تأتي في بداية الانافورا ليست نوع من انتقال شكلي ودعاء للهدوء والصمت، بل **تحوّل وجودي.**

رفع القلوب والأفكار **(ڤُبِيذ)** يعني: ترك الأرضيات، وترك الانقسامات، وترك الحسابات. من لا يرفع افكاره، لا يستطيع أن يدخل الأنافورا، حتى لو سمع كلماتها.

ان أنافورا أدي وماري، مثال كنسي فريد حيث تعتبر الأقدم في الكنيسة: لا يوجد تركيز على لحظة واحدة. ولا على كلمات مؤسِّسة محدَّدة. بل على **فعل شكر واستدعاء طويل ومتّصل.**

هذا يعكس إيمان الكنيسة الكلدانية المشرقية بأن: السرّ لا يُختزل في جملة، بل يُعاش في مسيرة صلاة كاملة. الآب يُمجَّد، التاريخ يُذكَر، الروح يُستدعى، والكنيسة تُقدَّس.

الروح القدس في الطقس الكلداني ليس إضافة، بل هو **الفاعل الأساسي.** الأنافورا هي صلاة من اجل ينزل الروح لا فقط على القرابين، بل على الشعب أيضاً، فالقداس لا يقدّس الخبز والخمر فقط، بل **يقدّس الكنيسة.**

وعليه فان **الأنافورا ليست فعل كاهن، بل فعل كنيسة.** في الروحانية الكلدانية: الكاهن لا "يصنع السرّ"، بل يرأس صلاة الكنيسة. الشعب: يجيب، ويصلّي ويقف بخشوع. بينما الشمامسة: ينظّمون الإيقاع، يدعون إلى الانتباه، ويحفظون رهبة اللحظة.

الأنافورا فعل جسد كامل، لا فعل فرد. انها تعلّم المؤمن الكلداني أن: الافخارستيا ليست "شيئًا نأخذه"، بل حياة نُرفع فيها مع المسيح. نحن لا نقترب من المذبح كمتلقّين فقط، بل كمشاركين في تقدمة الابن للآب.

كخلاصة نقول انه في الطقس الكلداني الانافورا هي:

- صعود الكنيسة إلى الآب.
- فعل شكر قبل أن تكون فعل تقديس.
- الروح القدس هو الفاعل.
- الكنيسة تُقدَّس مع القرابين.
- الافخارستيا هي شركة، لا لحظة تقنية.

وبكلمة واحدة: الأنافورا في الطقس الكلداني هي المكان الذي تصير فيه الكنيسة كنيسة.

ان انافورا ادي وماري هي كنز عظيم، تتسم بطابعها المشرقي الخاص. فهي عريقة في القدم وتتسم ببساطة التعبير وكثافة الأفكار والعمق اللاهوتي.

خصوصية «أدّي وماري» تنبع من أسلوبها الساميّ الأصيل ولغتها البسيطة التي تُشبه البركات الكتابية. استدعاء الروح القدس هو قلبها النابض، فيما تتوجّه التضرّعات إلى الله الآب باعتباره مصدر كل عطية، مع ذكر الابن وعمله الخلاصي، وحلول الروح كمكمّل للتقديس. غياب سرد التأسيس الصريح لا يقلّل من قيمتها، بل يكشف عن بدائية أصيلة تُذكّرنا بأنّ الافخارستيا ليست لحظة واحدة أو جملة محدّدة، بل هي رحلة كاملة من الشكر، والتسبيح، والذكر، والاستدعاء.

القسم الخامس: ريازة الكنيسة الكلدانية.

كل ما في الكنيسة من هندستها وبنائها والحركات والاعمال التي يتم عملها في القداس هي في خدمة ولتحقيق الاساس الذي بُني عليه القداس. على هذه الاسس والمخططات تشكّل القداس الكلداني بشكله الكامل. من الدخول الى الحركات والصلوات والسجدات وترتيب الرُتب فيه، اي بمعنى كل شيء هو مبني على هذه الاسس ويهدف نحو هذه الغاية.

1. هندسة الكنيسة.

هندسة كنائسنا الاصلية، والتي مع الاسف خسرناها، هي معمولة من اجل الهيكلية الاساسية للقداس. فهندسة الكنيسة عندنا تكيفت وفق تطور الرتب الطقسية. لذا من الضروري جدا ان نتعرف على ريازة الكنيسة الكلدانية القديمة، كي نستطيع فهم رتبة القداس.

كنائسنا بنيت اولاً باتجاه الشرق، فبناية الكنيسة تتجه نحو الشرق. وفي القداس يتوجه الشعب مع المحتفل نحو الشرق حيث وجه المحتفل مع الناس هو نحو الشرق، منبع النور، لماذا؟

لأننا في مسيرة نحو الحياة بالمسيح الذي هو ايضا يتّجه نحونا، كما ذكرنا في نقطة الأساس اللاهوتي. انه ليس فقط حاضر بيننا – كما في اللاهوت الغربي – بل اننا نسير نحوه وهو نحونا.

اي هناك هذه الديناميكية الثنائية: هو حاضر بيننا لكن هو ايضا في توجّه نحونا، انه مكتمل فيما بيننا لكن هو ايضا في اكتمال مستمر فينا. لهذا يتوجه الكاهن نحو المذبح وظهره للناس.

تصميم كنيستنا الأصلي بالحقيقة مبني على المفهوم اللاهوتي للقداس، وكذلك على الفهم المشرقي للإيمان المسيحي بالله، ودور الكنيسة في هذا العالم. وقد استلهم هذا التصميم، الريازة اليهودية لهيكل اورشليم حيث يوجد "قدس الاقداس" والبيم، والستار، ومفهوم "السرّ"، أي الجانب **المخفي** من الايمان او من طبيعة الله **السرّية**. الا ان التقليد المشرقي، او بالأحرى تأثير الحضارة البين النهرينية واضح كذلك في هذا التصميم. فهناك موضوع القبّة التي فوق المذبح والتي تذكّر بموضوع الزقورات، حيث تعمل كرمز للتقرب الى الالوهيات.

من الجدير بالذكر ان الكنائس الأولى الصغيرة كانت كلها تحت قبة كبيرة واحدة، والمفهوم اللاهوتي لذلك ان كل الكنيسة هي في اتصال مباشر مع نعمة الله، او بالأحرى ان الله يقترب بنعمته مع كل أبناء الكنيسة الذين هم مجتمعين باسمه.

مع تطور المفاهيم، والحاجة الى بناء كنائس كبيرة، صار هناك تطور أيضا في طريقة البناء والريازة، فاصبحت القبة فقط فوق المذبح للإشارة الى ان نعمة الله تأتي على المذبح وتقدّسه ومن خلاله تتوزع النعمة

والقداسة الى الكنيسة، التي يمثلها البيم، ومنها الى العالم. آثار هذا المفهوم هي في طريقة إعطاء السلام التي لا زلنا محتفظين بها: من المذبح يأتي السلام ليتم اعطاءه للجميع.

الدخول الى مبنى الكنيسة، يكون من خلال باب خارجي صغير يتميز بعتبة مرتفعة وسقف منخفض يضطر الداخل منه الى احناء رأسه. ليتذكر التواضع الذي يجب ان يتحلى به كل مَن يدخل بيت الله. وأن الكل متساويين حين يدخلون الى هذا البيت الإلهي.

- فناء الكنيسة.

أ. بيت الصلاة:

شرق ساحة الكنيسة يوجد "ايوان" يسمى بيت الصلاة، حيث يستخدم لصلاة الصباح والمساء. وأيضا للقسم الأول من القداس، أي رتبة كلام الله، وذلك خلال فترة الصيف. طقسياً من عشية عيد الصعود حتى عشية الاحد الأول من تقديس الكنيسة.

ب. بيت السهاد:

من الجهة الأخرى المقابلة لبيت الصلاة، توجد غرفة تسمى "بيت السهاد". كان يقيم بها السُهاد، أي الساهرون الذين كانوا يؤمنون الصلاة ليلا.

ت. بيت العماذ:

هو غرفة صغيرة تقع بجانب المذبح من الجهة الجنوبية وملاصقة لبيت الصلاة. كان يوجد في هذه الغرفة مذبح صغير او منضدة يوضع عليها الصليب والانجيل اثناء العماذ. في الزاوية اليمنى يوجد جرن العماذ.

- الهيكل.

هيكل الكنيسة العام بناية مستطيلة الشكل، ويمثّل هذا الهيكل، صحن الكنيسة، **العالم** الارضي. في الهيكل كان هناك مكان مخصص للرجال يحيط بالبيم من الجانبين الى امام المذبح، وآخر للنساء، وكذلك بابان للدخول واحد للرجال وآخر للنساء.

في الحائط الايسر[2] للهيكل، كانت تحفظ ذخائر القديسين والشهداء. في صلاة الصباح والمساء يقام زياح الى هذه الذخائر من قبل الاكليروس والشمامسة خلال ترتيلهم لتراتيل الشهداء في صلاة الصباح والرمش.

[2] الاتجاهات التي نشير اليها في بحثنا هنا، تكون وكأن الشخص قائم في الهيكل وهو ينظر الى المذبح.

- البيم.

في منتصف الهيكل كان يوجد "البيم" وهو موضع مرتفع قليلا عن مستوى ارضية الهيكل، يمثّل **الكنيسة** – مدينة اورشليم في الأرض لان الاقدمين اعتقدوا بان اورشليم مركز العالم[3] – التي تربط العالم بالسماء (ما يمثّله المذبح). في هذا البيم كان يبدأ القداس الى وقت الـــ "نؤمن" حيث يقوم المحتفل ومعه بعض الشمامسة بزياح الى الهيكل لتكلمة القداس. ويجلس الاكليروس أيضا فيه في صلاة الصباح والرمش.

في البيم كانت توجد عدة أشياء. منصتان للقراءات: منصة الجانب الأيمن لقراءات العهد القديم، منصة الجانب الايسر لقراءات العهد الجديد.

كذلك توجد منصة خشبية صغيرة بالمنتصف تسمى (الجلجلة)، موضوعٌ عليها الصليب والانجيل، باتجاه الشعب لكي يسجد لهما، ويتم تقبيلهما من قبل الذين يدخلون البيم.

في منتصف الجهة الغربية، أي المقابلة للمذبح وإزاء الصليب يوجد عرش المطران، وعن يساره الاركذياقون (عميد الخِدم الكنسية)، والكهنة يجلسون حولهما على شكل حلقة نصف دائرية.

الذي يحتفل بالقداس، كان يجلس مع الاخرين في البيم، الى بعد الطلبات (كاروزوثا) من بعد الانجيل والموعظة، حينها يعيّن الاركذياقون واحدا من الكهنة ليقدس. وعندها يقوم، ويعمل انحناءات ثلاث (كنّ نعملها ونحن نواجه الشعب بعد ان نقول نؤمن): للمطران والكهنة من كلا الجانبين، ويذهب بالزياح مع الشمامسة للمذبح.

- شقاقونا.

البيم يتصل بقدس الاقداس بممشى صغير يسمى "شقاقونا" أي الزقاق الصغير. يستخدمه الاكليروس للطواف من قدس الاقداس الى البيم في بداية رتبة كلام الله ولحمل الانجيل. ومن البيم الى قدس الاقداس لتلاوة قانون الايمان والبدء برتبة الذبيحة الإلهية.

يرمز الشقاقونا الى الطريق الضيق المؤدي الى السماء – قدس الاقداس – وكذلك ان السماء ترتبط بالعالم من خلال الكنيسة التي يمثلها البيم.

- قدس الاقداس.

قدس الاقداس هي المكان الذي يضم المذبح بالإضافة الى عدة أمور أخرى:

[3] حزقيال ٥: ٥.

أ. قسطروم: وهو درج عريض يقف عليه قراء العهد القديم، الشمامسة المساعدون (الشمامسة الرسائليين). يرمز القسطروم الى الفردوس الذي يتصل بالسماء لانه يرتبط بقدس الاقداس، لكنه ما يزال جرءً من العالم الأرضي لانه يتصل بصحن الكنيسة.

ب. باب قدس الاقداس والستار. قدس الاقداس يقفل بواسطة بابا كبير ذو مصراعين، ويحجبه ستار كبير أيضا. هذا الستار يفتح خلال القداس عند ترتيلة لاخو مارا. ويرمز فتح الباب والستار في هذا الوقت الى اتحاد السماء – قدس الاقداس – بالأرض (صحن الكنيسة) خلال الاحتفال بالقداس[4].

ت. قنكي: الباب الكبير يؤدي الى ال (قنكي) وهي المساحة التي قبل المذبح، وترمز الى السماء. كان في الماضي يضاء بمصباح، قنديل، يتدلي من منتصف قبة قدس الاقداس. وكان يمثل هذا المصباح الحد الذي يسمح به للشمامسة الرسائليين بالدخول الى قدس الاقداس. فلا يجور لهم ان يتعدوه. اما الشمامسة الانجيليين فيمكنهم الوصول الى درجات المذبح.

ث. المذبح: كان ملتصقا بالجدار الشرقي للكنيسة، ويحق للكاهن وحده الصعود اليه. يوضع عليه الصليب والانجيل.

ج. بيت الكنز: وهي خزانة صغيرة في الجانب الجنوبي لقدس الاقداس، توضع فيها الاواني المقدسة، أي الكاس والصينية..

- بيث دياقون.

في الجهة او الجدار الشمالي للمذبح يوجد باب يؤدي الى غرفة صغيرة تسمى "بيث دياقون"، أي بيت الخدمة. فيها كان يتم اعداد التقادم، الخبز والخمر للقداس. ولهذا كان بها تنور لاعداد خبز القداس، فقد كان يعد في اليوم الذي تقام به الذبيحة الإلهية.

- بيت الشهداء.

في صحن الكنيسة وتقريبا مقابل البيم من الجهة الشمالية كان يوجد باب يؤدي الى غرفة تسمى "بيت الشهداء"، او "بيت القديسيين". يحتفظ بهذه الغرفة بذخائر الشهداء والقديسيين. ويتلون فيها صلوات الشهداء أيام الاحتفال بعيدهم.

[4] الكنيسة الوحيدة التي لا زالت تحتفظ بهذا الباب هي كنيسة الطاهرة الكلدانية في الموصل.

2. الحركات.

كل ما يتم القيام به في داخل القداس من حركات هو لغاية معينة وليس فقط للتعبد. لذا كل حركة يلزم ان تكون معمولة بروحية القداس. والتحرك في القداس من دون ان يكون متضمنا تحقيق هدف القداس هو بالحقيقة تشويش الناس وعمل اضطراب في روحية القداس.

سنوضح بعض الحركات الأساسية التي لا زالت موجودة، والتي تواكب هيكلية الانافورا او القداس، وكذلك ريازة الكنيسة.

- الدخول:

في وقت (لاخو مارا) كان هناك زياح من قدس الاقداس الى البيم، ويقوم به الكهنة والشمامسة وحاملي الصليب والشمعتين والمبخرة. كانوا ينشدون خلال الزياح ترتيلة قدس الاقداس، ومن ثمّ (لاخو مارا). علما ان الكهنة كانوا يصطفون في قدس الاقداس، والشمامسة على القسطروم. وحين يعطي الاركذياقون الإيعاز لفتح الستار كان الزياح يبدأ ويسيرون نحو البيم. حين الوصول يصعد الاسقف الى البيم ويجلس على عرشه، ثمّ الكهنة على مقاعدهم حول الاسقف. اما الشمامسة الانجيليين فيقفون على الشقاقونا، والرسائليين يرجعون على القسطروم.

هذا الزياح بنقل الانجيل والصليب الى البيم في وقت ترتيل (لاخو مارا)، يشير الى بدأ القداس أولا، وكذلك الى ان السماء توحدت مع الأرض من خلال الكنيسة التي يمثّلها البيم.

نحن الان نقوم بهذا الزياح لكن من دون وجود الستار، ونقوم به من خارج الكنيسة وليس من قدس الاقداس تجاه البيم لعدم وجود البيم.

- بدأ الانافورا.

حاليا وبعد ان يقول المحتفل "نؤمن" يعمل ثلاث انحناءات وهو في طريقه للمذبح. وقبلا كنّا نعمل ثلاث انحناءات لكل جهة ووجهنا للناس قبل ان نستدير ونذهب للمذبح. الانحناءات التي يتم عملها بمواجهة الناس كانت تُعمَل في البيم. فبعد ان يعين الاركذياقون الكاهن المحتفل، يقوم هذا الكاهن وينحني للاسقف في المنتصف، وللكهنة من الجانبين. ثم يبدأ الزياح نحو البيم، لبدأ الانافورا.

يذكر المؤلف المجهول[5] عن وجود عناق يتبادله الكهنة في البيم، ترافقه علامات الاحترام. حيث ان التقديس هو فعل عظيم وكبير، ولهذا يعانق الكهنة المحتفل قبل ذهابه لقدس الاقداس. وترافق ذلك علامات الاحترام. وبينما يتوجه الى قدس الاقداس، يركع الشمامسة امامه ويقبّلون يده، ويقبّل المؤمنون كذلك يده...

وهو في الطريق ينحني ثلاث مرات مع تلاوة صلاة سريّة، تعبيرا عن رهبته وفرحه بالدخول الى قدس الاقداس والصعود للمذبح. وحين الوصول الى المذبح يقبّله ثلاث مرات أيضا تعبيرا عن الرهبة والفرح والاحترام والتواضع.

- انحناءات وسجود في صلوات (ܩܕܘܫܬܐ) "الانحناءة".

في بداية كل صلاة "الانحناءة" يلزم ان يتم السجود ومن ثمّ تقبيل المذبح وتلاوتها واليدين مبسوطتين على المذبح او مقابله. كون هذه الصلوات أساسية في الانافورا، وهي تؤسس للسرّ وتشرحه.

- تبخير اليدين والوجه.

بعد الانتهاء من التقديس، تأتي رتبة المناولة التي تسبقها رتبة الكسر والمزج. وهنا يُبخّر الكاهن يديه ووجه كي يكون مستعدا لرتبة الكسر، لأنه يُقدِم على لمس الاقداس للمرة الأولى.

- البركة الختامية.

بعد ان يتلو الكاهن الصلاتين قبل البركة، يذهب الى باب قدس الاقداس، ويقف على الجهة اليمنى، ويتلو البركة الختامية. فيها يعدد الثمار الروحية التي اجتناها المؤمنون من ذبيحة القداس، وخاصة تناول جسد الرب يسوع ودمه المقدسين، وغفران الخطايا، والقوة ليتمكنوا من إرضاء الله بأقوالهم وافكارهم واعمالهم ويسيروا في درب القداسة بكل عزم وثبات. والرجاء الوطيد بالقيامة المجيدة.

وينتهي القداس بهذه البركة.

[5] انه شرح نفيس يحمل اسم (عرض الطقوس الكنسية)، لمؤلف مجهول ويعود الى القرن التاسع. والكتاب عرض ليتورجي هام لكل السنة الطقسية والرتب الأخرى، وبالأخص القداس الاحتفالي. ترجمه الى العربية الاب البير ابونا ونشره في عنكاوا سنة ٢٠١٧ ضمن منشورات ايبارشية أربيل الكلدانية.

المصادر:

- **الاب (المطران) د. جاك اسحق.** القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية. بغداد ١٩٨٢.
- **المطران د. جاك اسحق.** شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية – الاثورية، وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري. تحقيق وترجمة. بغداد ٢٠١٢.
- **المطران أنطوان اودو.** الافخارستيا في الطقس الكلداني. في "سرّ الافخارستيا والقداس". الكسليك. ٢٠٠٥. ص ٢٦٤-٢٨٤.
- **المطران اميل نونا.** محاضرات حول "القداس الكلداني". سدني ٢٠١٧.
- **Vincent Van Vossel, The Chaldean Mass over 50 years. Baghdad 2025.**